بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ
الصادقين
الإسلام
محتاج الى جميع أبنائه
الجمعة ٤ جمادي الآخرة ١٤٤٦ هـ / ٦ كانون الاول ٢٠٢٤ م العدد ٢٥٢
نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ الإعداد للعمل علامة على صدق الراغب فيه

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج: ٦-٧]

السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والوعد بالفتح(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج: ٥-٧].

الآية الكريمة فيها تسلية ومواساة للنبي (ﷺ) وتطييب لقلبه وتخفيف لآلامه التي كان يتجرّعها من مشركي قريش، وكذلك فإنها تحمل معنى التهديد والوعيد لأعداء الإسلام من نهايتهم المخزية والبائسة في الدنيا والآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وتقول للنبي (ﷺ): إن يوم القيامة الذي نقتصّ فيه من أعداء الله تعالى ورسوله (ﷺ) والإنسانية يرونه بعيداً، أي يعتقدون بأنه بعيدٌ عن الواقع وغير ممكن بحكم عقولهم القاصرة وأنه لا وجود له واستغراقهم في الماديات، فيتساءلون مستنكرين: إذ كيف يبعث الإنسان من قبره بعد أن يتلاشى جسده في القبر ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وهم يرونه بعيداً زماناً أيضاً ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] فهو عندهم بحكم العدم، لكنهم في قرارة أنفسهم يعترفون به، ولا يستطيعون نفيه وهذا ظاهر من زعمهم أن آلهتهم ستشفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فيُطَمْئِنُ الله تعالى نبيه الكريم (ﷺ) من خلال الآيات الكريمة بأننا نرى يوم القيامة واقعاً حتماً بلا ريب، وأن وقوعه قريبٌ لحكم العقل والفطرة السليمة، لأنه مقتضى العدالة وإنصاف المظلوم من الظالم، وتقتضيه الحكمة وإلا كان خلق الناس عبثاً، وهو قريب زماناً أيضاً عند مَن تكون رؤيته خارج الزمان، فالحوادث والأمور الزمانية السابقة واللاحقة كلها حاضرة عنده كشريط من الصور والأحداث، ولأن عمر الدنيا مقابل الخلود في الآخرة لا شيء، ولأن يوم القيامة آتٍ، ((وكل آتٍ قريب))(٢) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب: ٦٣] ومهما طال عمر الكفار والمعاندين في الدنيا فإنهم ميتون، وستنكشف الحقيقة جلية أمامهم، وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته)(٣)، فما أقربهم من يوم الجزاء، وحينئذٍ لا يبقى لهم شيء مما حرصوا عليه من متاع الدنيا مهما طالت مدته ولا يدفع عنهم العذاب ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۞ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وسرعان ما تحقق وعد الله تعالى فيهم، فقد قتل الله تعالى صناديد قريش وطغاتها في معركة بدر، بل إنهم يتعذّبون بالنار التي أجّجوها بظلمهم ومعاصيهم وهم في دار الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، أي الآن وليس أنها ستحيط بهم يوم القيامة فقط ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً

التتمة في الصفحة الخامسة

---

(١) الخطاب الفاطمي السنوي العشرون بفضل الله تعالى ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشود الزوار المعزّين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف يوم الخميس ٣/جمادي الآخرة/ ١٤٤٦ الموافق ٥ /١٢ /٢٠٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ج ١ - ص ١٩٧. (٣) ميزان الحكمة: ج ٤ - ص ٢٩٥٤ عن كنز العمال: ٤٢٧٤٨، ٤٢١٢٣.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: ٤٦)

الإعداد للعمل علامة على صدق الراغب فيه(١٤)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۞ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ٤٦-٤٧).

قاعدة من قواعد العمل الصادق المخلص تبيّنها الآية الكريمة من خلال أحد فصول غزوة تبوك التي وقعت في السنة التاسعة للهجرة بعد فتح مكة، فقد نقل التجّار القادمون من الشام أن هرقل الروم قد حشد جيشاً كبيراً في الشام يريد غزو المدينة للقضاء على الإسلام والمسلمين وانضمت إليه القبائل الشامية، فأمر النبي (ﷺ) أصحابه بالتهيؤ للخروج إلى تبوك وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكة وإلى من أسلم من القبائل العربية فحثّهم على الخروج إلى الجهاد في خطبة مؤثرة، فَرَغِب الناس في الجهاد لما سمعوها من رسول الله (ﷺ)، وقدمت القبائل من العرب ممن استنفرهم، وعسكر في ثنية الوداع خارج المدينة، وأمر أهل الجِدَة أن يعينوا من لا قوة به، فكان سفراً بعيداً شاقاً ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ (التوبة: ٤٢) في ظروف صعبة للغاية سماها القرآن ﴿سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة: ١١٧).

فكانت هذه الغزوة امتحاناً للمجتمع المسلم تميَّز فيه المؤمن الصادق من المنافق، فالمؤمنون الصادقون بادروا إلى التهيؤ والاستعداد، ومن لم يجد فقد وصفتهم آية أخرى من السورة ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢).

أما المنافقون فقد تخلّفوا عن رسول الله (ﷺ) وآثروا الراحة والدعة متذرّعين بأنواع الادعاءات، فنزلت الآيات الكريمة من سورة التوبة قوية في فضحهم(١٥) وكذب دعاويهم، وتهديدهم بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، ((وتخلف عن رسول الله (ﷺ) قوم من أهل الثبات والبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب ولكنهم قالوا نلحق برسول الله (ﷺ)، منهم أبو خيثمة وكان قوياً وكانت له زوجتان وعريشان - وهو ما يستظل به - فكانت زوجتاه قد رشّتا عريشيه وبرّدتا له الماء وهيئتا له طعاماً، فأشرف على عريشه، فلما نظر إليهما قال والله، ما هذا بإنصاف(١٦) رسول الله (ﷺ) فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، قد خرج في الضِّح - أي الشمس - والريح وقد حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله وأبو خيثمة قوي قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين! لا والله ما هذا بإنصاف، ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله (ﷺ)، فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله (ﷺ) بذلك فقال رسول الله (ﷺ): كن أبا خيثمة، فاقبل وأخبر النبي بما كان منه فجزاه خيراً ودعا له.

وكان أبو ذر رحمه الله تأخّر عن رسول الله (ﷺ) ثلاثة أيام وذلك أن جمله كان أعجف - أي مهزول - فلحق بعد ثلاثة أيام به، ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله (ﷺ): كن أبا ذر، فقالوا هو أبو ذر، فقال رسول الله (ﷺ): أدركوه بالماء فإنه عطشان فأدركوه بالماء، ووافى أبو ذر رسول الله (ﷺ) ومعه إداوة فيها ماء، فقال رسول الله (ﷺ): يا أبا ذر، معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي؛ انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله: يا أبا ذر، رحمك الله، تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك))(١٧).

في هذه الأجواء تفضح الآية الكريمة المنافقين الذين تكاسلوا وخذلوا رسول الله (ﷺ) وتقول: أنهم لو كانوا صادقين في إرادة الخروج معك لبان عليهم ذلك من خلال التحضير والإعداد للخروج لكنهم لم يفعلوا.

وجاءت ﴿عُدَّةً﴾ نكرة فأفادت عدة مداليل:

١- الإطلاق أي أنهم لو كانوا صادقين في إرادة الخروج معك للجهاد كان بإمكانهم تهيئة أيَّ عدّة يلبون بها نداء الجهاد سواء كانت مالية أو بدنية أو بتجهيز غير القادرين ونحو ذلك، لكنهم لم يهيئوا أي شيء.

٢- دلالتها على القلة لتوبيخ المتقاعسين بأنهم لم يتخذوا أهبة الخروج حتى بالحد الأدنى وهي النية كما ورد في رواية العياشي في تفسيره عنه (ﷺ) قال: (يعني بالعدّة النية، يقول: لو كان لهم نية لخرجوا)(١٨).

٣- التفخيم أي للدلالة على لزوم تهيئة العدة اللازمة لكل عمل بما يتطلبه، ووجوب تحمّل مسؤولية أي عمل بما يناسبه، فقتال الروم بأعدادهم الكبيرة وسلاحهم ذي البأس الشديد يتطلب عدة تناسبهم لإرعابهم ودفع خطرهم قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠) بينما هم تهرّبوا من المسؤولية بكل مستوياتها وتفاصيلها وبأعذار واهية.

ولما لم يريدوا لأنفسهم الخير بطاعة الله تبارك وتعالى فقد سلب منهم التوفيق ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٦) فحرموا من طاعة الله تعالى والمضي مع رسول الله (ﷺ)، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (التغابن: ٦) وباؤوا بسخط من الله تعالى.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي أقعدهم وحبسهم عن الخروج لا بجبرهم وإكراههم ولكن بحرمانهم من تأييده وتوفيقه فلم يستطيعوا الخروج، وكمثال على توفيق الله وخذلانه ما حكته الآيات الكريمة عن معركة بدر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (الأنفال: ٤٣)، فالإنسان بذاته ضعيف عاجز ويحتاج إلى توفيق من الله تعالى ليفعل الطاعة، وليست متاحة له متى شاء وكيف شاء (ولا ميسّر لما عسَّرت، ولا ناصر لمن خذلت)(١٩) (وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ إِلَى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمَانُ)(٢٠).

﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ القائل مجهول فإن كان من المنافقين كما أخبر تعالى في آية أخرى ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٨٦)، فالأمر واضح، ولعله تعبير عن لسان حالهم المنافق، وإن كان القائل هو الله تعالى فإنه ليس بمعنى النطق باللسان، وإنما بمعنى تعلّق الإرادة بالقعود، وقد شرحناه مفصلاً في قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، وإن سلوكهم المنافق هو الذي أوجب ذلك، فهذا ليس أمراً تشريعياً حتى يقال بمنافاته مع الأمر بخروجهم إلى الجهاد.

التتمة في الصفحة الثالثة

---

(١٤) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ١٠/جمادي أولى/ ١٤٤٦ المصادف ١٣ /١١ /٢٠٢٤. (١٥) من أسماء سورة التوبة (الفاضحة).

(١٦) هذا الشعور الصادق يكشف عن علاقة خاصة مع رسول الله (ﷺ) ليست علاقة الحق والواجب أو الحرام والحلال أو الخوف من العقوبة والطمع في المكافأة وهي المؤثرات التي تضمن طاعة الأتباع لرئيس الدولة، بل علاقة الحب وإنصاف القائد من النفس ومراقبة تقديمه على النفس دائماً، وهي العلاقة التي أسس لها القرآن وحث عليها في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (التوبة: ٢٠)، وهذه العلاقة تكشف لنا عن قوة الطاعة التي يريد الإسلام تأسيسها في دولة آل محمد صلوات الله عليهم، تضمن ولاء الأتباع ظاهراً وباطناً وطاعتهم حتى مع أمن الخوف وغياب الطمع، وتحثهم على المزيد دائماً وتقلل الأعمال في أعينهم وتخوفهم من قليل الذنب وتجعل الإنسان يوجب على نفسه المستحب ويحرم المكروه المرخّص به.

(١٧) تفسير البرهان: ٤ /٢٧٩-٢٨٠ ح١ عن تفسير علي بن ابراهيم: ١ /٢٩٤. (١٨) تفسير العياشي: ٢/ ٨٩، ح ٦٠، البرهان: ٤/ ٢٨٢، ح ٢.

(١٩) الصحيفة السجادية: ٥٧، الدعاء السابع. (٢٠) مصابيح الجنان: ٩٦، دعاء الصباح.

وفي هذا التثبيط مصلحة للقاعدين ولعموم المسلمين، أما لهم فلحمايتهم من آثام وأوزار إضافية يحملونها لو خرجوا؛ لأنهم سيثيرون الفتن في جيش المسلمين ويتسبّبوا في وهنهم وضعفهم كما عبرت الآية التالية فيزدادون إثماً إلى إثمهم، ففي تثبيطهم عن الخروج رحمة بهم مع أنهم عاصون، وهكذا يحمي الله تعالى المؤمنين أيضاً فعن رسول الله (ﷺ): (إن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين؛ نظراً مني له وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارٍ عليها، ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب فيصيره العجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه، حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير، فيتباعد مني عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إليّ)(٢١).

وأما لمصلحة المسلمين؛ فلكي يتعرّفوا على المنافقين، ويتخلّصوا من شرهم ومكائدهم، فإنهم ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ أي معكم في صفوفكم ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ أي اضطراباً وقلقاً وتشوشاً مما يثبّط عزيمة المسلمين ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي أسرعوا في التغلغل بين صفوفكم، لأن الإيضاع يعني الإسراع في الحركة، فتنتشر شبهاتهم وشكوكهم وفتنهم كسريان النار في الهشيم، وهدفهم أنهم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ بتمزيق وحدتكم وتخويفكم وتثبيط عزائمكم، ومما يزيد المشكلة أنه {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} ويوجد في المسلمين جماعة من ضعاف البصيرة يتلقون منهم بدون تثبّت ورويّة والرجوع إلى أهل الخبرة في هذا المجال كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣) ووجود مثل هؤلاء السماعين السذّج الذين تنطلي عليهم الإشاعات والأكاذيب هو الذي ينجح مكائد الأعداء، ولو كان الجيش واعياً فطناً فإنها لا تؤثر أثرها، وربما أراد بالسماعين الجواسيس الذين يتلقون الشكوك والشبهات من الأعداء وينشرونها بينكم مما يقصم ظهر الجيش كما حصل لجيش أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين فانشق آلاف الخوارج وتشوشت أفكار عدد كبير من الباقين، لذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في التحذير من هذه الظاهرة (عوّد أذنك حسن الاستماع ولا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك استماعه فإن ذلك يصدي القلوب ويوجب المذام)(٢٢).

وقال (عليه السلام) لبعض أمراء جيشه: (فانهدْ بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبه خيرٌ من مشهده، وقعوده أغنى من نهوضه)(٢٣).

ويمكن استفادة عدة دروس وعبر من الآية الكريمة:

١- إن أي هدف يراد الوصول إليه وأي غرض يراد تحقيقه لا بد من تهيئة كل المقدمات اللازمة التي يتطلبها ابتداءً من الإرادة والنية الصادقة والعزم الراسخ ثم العمل، وهذا واضح فلا يحتاج إثبات وجوب مقدمة الواجب إلى بحث مفصّل في علم الأصول، وإلا كانت أماني فارغة ويعدّ من السخرية بنفسه، كما ورد كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)(٢٤)، إذ يكون فعله عبثياً، وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (من سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه)(٢٥).

إن الاستعداد يقوي العزم ويُخلص النية ويزيد من الوعي بالعمل، وقد لا يوفق الإنسان للعمل فيكتب له أجر النية، وقد يعلم الله منه الصدق من استعداده فيصرف عنه مؤونة العمل والبلاء ويكتب له ثوابه.

وهذه قاعدة عامة في الحياة سواء على مستوى الدراسة وطلب العلم أو الكسب أو العلاقات الاجتماعية أو مراتب الكمال وغير ذلك، وقد شرحنا ذلك في قبس سابق من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾(٢٦) (الإسراء: ١٩)، فمن يريد الفوز في الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض لا بد أن يسعى لها سعيها المناسب والموصل إليها، ومن يدعو للإمام المهدي (عليه السلام) بالفرج وينتظر خروجه عليه أن يعدّ نفسه بالتقوى والعمل الصالح، أما الكسل والتراخي والتسويف فإنه يحرم صاحبه من الطاعة، وإن الشيطان يتربّص به ليصدّه عن العمل الصالح، فليكن حذراً وقلقاً من تسويلات النفس الأمّارة بالسوء، لئلا تؤدي به إلى مقت الله والحرمان من طاعته، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَمَن تردّد في الريب وطئته سنابك الشياطين)(٢٧).

وتتضمن الأحاديث الشريفة أمثلة كثيرة لمثل هذا الإعداد لصلاة الليل مثلاً بالنوم المبكر وتقليل وجبة العشاء والدعاء بالمأثور وغيرها، أو الإعداد للحج بالادخار اليومي للمال ولو القليل حتى تجتمع عنده الاستطاعة ونحو ذلك.

٢-قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ فالله تبارك وتعالى لا يكره ذات الإنسان؛ لأنه خلقه في أحسن تقويم وأعدّه لرسالة عظيمة، إنما يكره عمله السيئ، إلا أن يتحول ذاته إلى معدن خبيث تصدر منه الأفعال القبيحة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] وفي هذا درس بليغ على مستوى علاقاتنا الاجتماعية بالآخرين فإن المعمول به لدى الناس كراهة الشخص والحقد عليه وتسقيطه لمجرد صدور فعل كرهه الآخر منه، فلا بد من التفريق بين الشخص وعمله والتعامل معه بإنصاف وموضوعية، وقد فصلنا الكلام في هذا الدرس الاجتماعي في قبس سابق(٢٨)، وألحقنا به بحثاً في تفسير قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الله يحب العبد، ويبغض عمله)(٢٩).

٣-إن طاعة الله تعالى كالحضور في صلاة الجمعة أو قيام الليل أو المشي إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) أو المشاركة في الزيارة الفاطمية وغير ذلك ليست شرعة لكل وارد كما يقال، وإنما هي ألطاف إلهية خصَّ بها عباداً صادقين مخلصين ولا تُنال إلا بتوفيق الله تعالى لذا ورد في الدعاء (اللهم أرزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية) أما الكسول والمتخاذل فلا نصيب له منها.

٤-المهم عند القيام بعمل ما أو إقامة مشروع ما هو نوعية العاملين لا عددهم، فقد يكون وجود بعض ضعاف النفوس والبصائر مضرّاً بالعمل ومثبّطاً للعزائم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩) فالفئة القليلة المتصفة بالصبر والإخلاص والتقوى تفوق في عملها الفئة الكثيرة المجرّدة من هذه الصفات، فلا يحزن المؤمنون لتخلف جماعة عن العمل.

٥- إن بعض الأمور قد نراها شراً لنا ونحزن لحصولها - كتخلف جمع من أهل المدينة عن الخروج إلى الجهاد مع رسول الله (ﷺ) بحسب الآية الكريمة - إلا أنه في الحقيقة خير للمؤمنين، فليكونوا راضين بقضاء الله تعالى ومطمئنين بقدره ومسلمين لأمره.

٦- التحذير من الاستماع لأي حديث على الفضائيات، أو كلام منقول في الكتب أو منشور على مواقع التواصل الاجتماعي، ويجب التثبت منه والرجوع إلى أهل الاختصاص للاستيثاق منه؛ فإن الإعلام من أهم أدوات الحرب الناعمة التي شنّها أعداء الإسلام، أما الساذج الغافل الذي يروّج الأخبار الكاذبة المرجفة بالمجتمع المسلم أو المؤدية إلى تزلزل عقائدهم وانحراف أخلاقهم وسلوكهم أو تخريب ثقافتهم فإنه يبوء بإثم عظيم.

وخير مثال على مَن يعدّ العدة للعمل أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) كحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة الأسديين فإنهما تخفّيا(٣٠) في عشيرتهما بعد أن خذل أهل الكوفة مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) حتى استشهد، وأحكم عبيد الله بن زياد قبضته على الكوفة، وطوّقها من جميع الجهات، وكان مصير شيعة علي القتل والاعتقال، فلم يشاءا أن يُحرما من نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وظلا يتحرّيان أخبار الإمام (عليه السلام) حتى سمعا بنزوله أرض كربلاء فخرجا إلى نصرته بخطة أفلتا بها من الحصار المضروب على الكوفة، حتى نالا شرف الشهادة بين يدي أبي عبد الله (عليه السلام)، فطوبى لهم وحسن مآب وحشرنا الله تعالى في زمرتهم مع النبي وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

---

(٢١) بحار الأنوار: ٦٨ /١٥١. (٢٢) غرر الحكم للآمدي: ٤٢١١. (٢٣) نهج البلاغة: ج ٣، ص ٦، الكتاب الرابع (٢٤) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ٧ - ص١٤٥.

(٢٥) كنز الفوائد، للكراجكي: ١/ ٣٣٠، بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٥٦. (٢٦) لقبس ٨٣ من موسوعة تفسير القرآن الكريم من نور القرآن: ٣ /٢٤. (٢٧) نهج البلاغة، الحكمة رقم (٣١).

(٢٨) قبس ٤٧ من موسوعة تفسير القرآن الكريم من نور القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: ٢ /٧٥.

(٢٩) نهج البلاغة: ج ٢ - ص٤٤. (٣٠) إبصار العين، للسماوي: ٧٦، ٨٢.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾ [مريم: ١٧]

السيدة الزهراء (عليها السلام): المثل الأعلى للعفاف(٣١)

صورة سامية يرسمها القرآن الكريم لعفاف الصديقة مريم بنت عمران (عليها السلام) فإنها لم تكتفِ بحجابها الشخصي وإنما اتخذت إجرائين آخرين لتحقيق المزيد من الصون والعفاف:

١- أنها اتخذت مكاناً منعزلاً بعيداً عن الاحتكاك مع الناس ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾(٣٢) [مريم: ١٦]، ولعل هذا المكان الشرقي -كما في الميزان- هو المحراب المخصوص للعبادة الذي ذكرته الآية الكريمة ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾ [آل عمران: ٣٧].

٢-أسدلت دونها حجاباً ساتراً حتى لا ترى معالمها أو حركاتها وإن كانت محجّبة، ولتتفرغ لعبادة ربها وتنقطع عن كل ما يشغلها عنها ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾، ولكي تسلم عبادتها من الرياء إذا اطمأنت لعدم الناظر إليها، ولكي لا تعطي فرصة النظر المجاني إليها من قبل الرجال الأجانب.

هذا العفاف وهذا الاحتجاب عما سوى الله تبارك وتعالى الذي تميزت به مريم (عليها السلام) جعلها محل ثناء الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع وعبّر عنها بأنها ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١] واستحقت لقب صديقة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] وهي صيغة مبالغة من الصدق حيث يتطابق القول والفعل، وبذلك كانت أهلاً للفيض الإلهي، واستحقت أن يهبها الرسول العظيم عيسى (عليه السلام) ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

هذه هي مريم الصديقة في عفافها فأين نساء النصارى منها؟ وبماذا يواجهنها يوم القيامة حينما يدّعين الانتساب إليها وقد أغراهن الشيطان بإظهار كل مفاتنهن أمام الملأ وارتكبن أفحش المحرمات، ففقدن قيمة الكرامة والسمو والرفعة والطهر والنقاء وأصبحن مبتذلات وسلعاً تجارية، روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قوله: (يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول: يا ربِّ حَسَّنت خلقي -أي جعلتني جميلة حسناء- حتى لقيت ما لقيت -من الافتتان والانحراف بسبب ذلك فأنا معذورة-، فيجاء بمريم (عليها السلام) فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسّناها فلم تُفتَتن، ويُجاء بالرجل الحسَن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا ربِّ حَسَّنت خَلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت فيجاء بيوسف (عليه السلام) فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه فلم يفتتن)(٣٣).

وضربت لنا السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المثل الأعلى للعفاف، ومن صور سلوكها (عليها السلام) عندما حتّم عليها الواجب أن تخرج إلى مسجد أبيها (ﷺ) لتردع المنقلبين عن غيّهم، وتعيد الحق إلى أهله، وتثير في أصحاب أبيها (ﷺ) حميّة الدين، تقول الرواية (لاثت خمارها على رأسها -أي لفته بالمقنعة وغطته- واشتملت بجلبابها -أي أحاطت نفسها به- وأقبلت في لُمَّة من حفدتها -أي جماعة من مريداتها والمواليات لها- ونساء قومها تطأ ذيولها، ونيطت دونها ملاءة)(٣٤).

فلم يشغلها هول المصاب عن مراعاة العفاف الكامل، ولم تكتفِ سلام الله عليها بالملابس الساترة لبدنها والطويلة التي تغطّي قدميها وتخطّ بالأرض حتى إنها (عليها السلام) تطأها عند السير، وإنما اتخذت أكثر من إجراء:

١- مضت في جمع من النساء حتى لاتتميز معالمها حين تكون بينهن.

٢- ضربت حجاباً دون الرجال حتى لايرى شخصها.

وكما أن الله تعالى كافأ مريم (عليها السلام) على عفافها الكامل بأن وهبها روح الله وكلمته، فإنه تبارك وتعالى كافأ السيدة الزهراء (عليها السلام) بأن وهبها ذرية معصومة جعلهم أئمة للخلق أجمعين، قال النبي (ﷺ) مستعملاً نفس التعبير القرآني: (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار)(٣٥)؛ لأنهم معصومون سلام الله عليهم.

ومن صور عفافها ما رواه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (أن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي (ﷺ): لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح، فقال النبي (ﷺ): أشهد أنك بضعة مني)(٣٦).

وكان أهم طلب عندها أن تُكفى مؤونة الخروج من البيت بما يتطلبه من ظهور شخصها أمام الرجال الأجانب، هذا النهج الذي عبّرت عنه بقولها (عليها السلام): (خير للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهن الرجال)(٣٧)، وهو منهج القرآن الكريم الذي اختصره بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

روي عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: (تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (ﷺ) في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله؛ بإكفائي رسول الله (ﷺ) تحمل رقاب الرجال)(٣٨).

ولكمال عفافها فقد كان بالها مشغولاً بما بعد الموت حيث تعارفوا يومئذٍ على تشييع الجنازة بوضعها ظاهرة حيث ترى معالم الميت الخارجية من وراء الكفن، (قالت لأسماء بنت عميس: اصنعي لي نعشاً يواري جسدي، فإني قد ذهب لحمي - وهكذا صنعت الأحزان والآلام بها- فقالت لها: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أريك شيئاً يُصنع في أرض الحبشة، قالت فاطمة: بلى، فصنعت لها مقدار ذراع من جرايد النخل، وطرحت فوق النعش ثوباً فغطاه، فقالت فاطمة عليها السلام: سترتيني ستر الله من النار)(٣٩).

فالمطلوب إذن ليس فقط ارتداء الحجاب الشخصي الكامل وإنما الالتزام بكل ما يتطلبه العفاف والحياء من إجراءات وتجنّب كل حركة أو حالة أو كلام أو مظهر ينافي السلوك العفيف أي توفير بيئة وظروف العفاف أيضاً، وعلى الرجال مساعدة النساء في تحقيق هذه الحالة السامية صوناً لهم ولهن ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ونحو ذلك من الإجراءات.

فعلى جميع النساء أن يتخذن من السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مثلاً أعلى في العفّة والحياء ويقاومن إغراء شياطين الجن والإنس الذين يبذلون الأموال الطائلة ويسخّرون التقنيات المثيرة والجاذبة والإعلام المؤثر من أجل تجريد المرأة من عفافها وحيائها وإبراز مفاتنها للرجال من خلال دور الأزياء وهوس الموضة ومسابقات الجمال، ونشروا مراكز الترفيه والمساج والتجميل وإقامة الحفلات الماجنة، لأنهم يعتبرون النساء أفتك سلاح في حربهم المسعورة على الدين والأخلاق وقيم الكرامة والعزة والسمو والرفعة ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

لقد كانت السيدة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) بما جسدت من تعاليم الدين ملهمة للنساء عبر التأريخ بأن يتخذن مسلك العفاف والطهر والنقاء، وبنات الإسلام والسيدة الزهراء (عليها السلام) هُنّ الوحيدات من نساء العالم اللواتي يجسّدن هذا السلوك، ولعلكم شاهدتم مقطع الفيديو للمرأة الفلسطينية العفيفة التي استطاعت فرق الإنقاذ بمشقّة من سحبها من تحت الأنقاض الهائلة بسبب العدوان الصهيوني الغادر وكان همّها أثناء سحبها من تحت الأنقاض تعديل حجابها وغطاء رأسها الذي انكشف جزء منه بسبب القصف الوحشي.

إن مراعاة العفاف والحياء لم يمنع السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ممارسة وظائفها في التبليغ الديني وتعليم النساء ونصرة الحق، والحضور في المواقف المفصلية التي تتطلب حضورها، كإلقائها الخطاب في مسجد أبيها (ﷺ) واحتجاجها المفحم للمتصدّين، مضافاً إلى أداء واجباتها العائلية والبيتية بأكمل وجه، فما هو مبرر النساء اليوم وفي كل يوم للخضوع لغرائزهن واتباع شهواتهن والافتتان بما عندهن من وسائل الإغراء، حتى إن بعض المتدينات يخرجن عن حدود العفة في المناسبات الاجتماعية أو في أماكن العمل أو الدراسة أو ضمن العلاقات الأسرية وغير ذلك.

---

(٣١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٢٤/جمادي أولى/١٤٤٦ الموافق ٢٧ /١١ /٢٠٢٤.

(٣٢) اتخاذها مكاناً شرقياً لعله لارتباط أوقات الصلاة بالشمس من حين الفجر والشروق إلى غروب الشمس الذي يستدل عليه بذهاب الحمرة المشرقية بناءً على ما في شريعة الإسلام.

(٣٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، للعلامة المجلسي: ٢٦ /١٦٢، شرح أصول الكافي: ج ١٢- ص ٣٠٦ (٣٤) الاحتجاج: ج ١ - ص ١٣٢.

(٣٥) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ١٠٧. (٣٦) مستدرك الوسائل: ج ١٤ - ص ٢٨٩. (٣٧) بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٤.

(٣٨) بحار الأنوار: ج ٤٣ - ص ٨١. (٣٩) بحار الأنوار: ج ٧٨ - ص ٢٥٥.

تتمة: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والوعد بالفتح

وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] فأيَّ بُعدٍ يتشبثون به ويخدعون به أنفسهم؟

وإلى أن تتحقق هذه النهاية الشقيّة للكافرين والسعيدة للمؤمنين تأمر الآية الكريمة السابقة بالصبر الجميل ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ وهو الصبر الذي يكون لوجه الله تعالى ورضاً بقضائه وتسليماً لأمره وثقة بوعده، ليس فيه شكوى ولا اعتراض ولا ضجر ولا كسل، على النحو الذي سلّى به النبي يعقوب (عليه السلام) نفسه عند فقد ولده يوسف النبي (ﷺ) ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الصبر الجميل: أنه (بلا شكوى)(٤)، ومثل هذا الصبر يكون حافزاً على العمل والتقدم وليس مثبّطاً أو محبطاً، والله تعالى قادر على أن يحقق المطلوب فوراً من دون انتظار، لكنه تعالى أراد للأمور أن تجري بأسبابها ليتميز الصابر المحتسب العامل عن غيره فيثيب المحسن على إحسانه.

وما على المؤمنين إلا التربص والانتظار والثقة التامة بوعد الله تعالى ليروا ما يحلّ بالكافرين ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ١٠٢].

وإذا لاحظنا الآية الكريمة ضمن سياق الآيات السابقة عليها(٥) ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] التي دلّت الروايات على أنها نزلت في المعترضين على تنصيب النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) خليفة من بعده ووليا لأمر الأمة في يوم الغدير(٦)، وقالوا ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وعلى هذا فالآيات الكريمة تتوعد الذين أنكروا ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعذاب القريب.

أيها الأخوة والاخوات:

وللآية الكريمة معنى أوسع من هذا يقوي إيماننا، ويربط على قلوبنا، ويعيننا على تحمّل كل ما نلاقيه في حياتنا ويكون بلسماً لجراحنا، وهو أن كل مشكلة تحصل لنا، أو أزمة تمرُّ بنا، أو أمر يتعسّر علينا أو ابتلاء سواء في البدن أو الرزق أو الأمن أو المصائب والابتلاءات في الأهل والأقرباء والأحبّة أو الكوارث العامة التي تعاني منها الأمة، والتحديات المعقّدة التي تواجهها، وترى أنها مستعصية على الحل وأن الخروج منها بعيد المنال وقد يحصل اليأس منه، فعليك أن تتذكر حينئذٍ هذه الآية الكريمة وتستحضرها في وجدانك لتعيد إليك الأمل والاطمئنان وتزيد في إيمانك، وتقوي عزيمتك، وترفع درجتك عند الله تعالى، فإنها تعدك بأنَّ العقدة ستحلّ، والخطر سيزول، ويتحوّل الفشل إلى نجاح وسيأتي الفرج بأقرب ما يكون ومن حيث لا تحتسب، (فكم يا الهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها) (فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة مونقة قد أراني)(٧) وما عليك إلا حسن الظن بالله تعالى والاستعانة بالصبر الجميل المحرك نحو العمل الصالح قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] من دون أن تذكر الآية أن الاستعانة بالصبر على ماذا؟ ليبقى مطلقاً ومفتوحاً، فإن الاستعانة بالصبر والصلاة يكون على كل شيء، فبالصبر ينال الظفر والدرجات الرفيعة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((إن العبد ليكون له عند الله الدرجة لا يبلغها بعمله فيبتليه الله في جسده أو يصاب بماله أو يصاب في ولده فإن هو صبر بلّغه الله إياها))(٨)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء)(٩)

وعليكم أن تحسنوا الظن بالله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

وعلى هذا الفهم فإن ضمير (هم) في ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعود إلى المؤمنين، وبذلك تؤسس الآية الكريمة قاعدة عامة توجّه سلوك المؤمن، وتجعل قلبه مفعماً بالأمل والانشراح، وتجعله مندفعاً نحو العمل الإيجابي المثمر المبارك، فلنستفد منها في كل شؤون حياتنا.

أيها الموالون المجتمعون على محبّة السيدة الزهراء (عليها السلام):

لقد وعت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقة القرآنية وكانت على ثقة تامة بوعد الله تعالى، لذا وقفت متحدية طغيان القوم لتحذرهم من مغبّة ظلمهم وعدوانهم وانقلابهم على تعاليم الدين ووصية رسول الله (ﷺ)، وأن هذه النهاية التي

التتمة في الصفحة السادسة

---

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ١ /٣٠٠، البرهان: ٥ /١٣٤ ح٣٣. (٥) تناولناها في قبس مستقل، راجع تفسير من نور القرآن: قبس ٢١٢/ج٦ /ص٢٨٧.

(٦) نقل العلامة الأميني (قدس سره) في كتاب (الغدير: ١/ ٤٦٠ - ٤٧١) الواقعة عن ٢٩ محدثاً ومفسراً، ونقله من العامة الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢ /٣٨١، والحافظ أبو عبيد بن سلام في تفسيره (غريب القرآن:٨٦).

(٧) من دعاء الافتتاح الذي يستحب في ليالي شهر رمضان المبارك. (٨) التمحيص لابن همام الاسكافي: ٥٨. (٩) نهج البلاغة: ج ٤ - ص ٨٢.

يرونها بعيدة هي قريبة منهم وتراها السيدة الزهراء (عليها السلام) رأي العين، ومما قالت (فدونكموها فاحتقبوها باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون)(١٠).

وقالت (عليها السلام): (أمَا لعمري لقد لقحتْ، فنظرة ريثما تُنتج، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ -أي عاقبة - ما أسّس الأولون، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨])(١١).

وسرعان ما حلّ بهم ذلك، وكانت البداية ضياع دينهم وآخرتهم وانحرافهم عن شريعة الله تبارك وتعالى، روى البخاري بسنده عن الزهري قال: ((دخلت على أنس بن مالك - الصحابي - بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي (ﷺ) إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيّعت))(١٢) يحصل ذلك وأصحاب النبي (ﷺ) لا زالوا موجودين.

أيها الأحبّة: -

إن الباطل والظلم والعدوان مهما تفرعن وتجبّر وطغى، وظنّ بعدم وجود من يردعه فإن نهايته قريبة وغير متوقعة، فمن كان يتصور أن نجاة النبي موسى (عليه السلام) والذين آمنوا معه تكون بتلك الطريقة وهي إغراق فرعون وجيشه العظيم في الماء في اللحظة التي يئس المؤمنون فيها من النجاة ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]؟ وهل كان أصحاب الكهف يتوقعون أن نجاتهم تكون بالنوم ثلاثمائة وتسعة أعوام حتى انتشر التوحيد وأضمحلّ الكفر؟ ومن كان يصدّق أن النمرود الطاغية المتجبّر تنتهي حياته حشرة، والأمثلة لا تعد ولا تحصى.

وهكذا يوم الظهور الميمون لإمامنا المهدي (عليه السلام) مهما رأوه بعيداً عن التصور ومستحيلاً، فإنه قريب وسينعم برؤيته واتّباعه المؤمنون، وسيشرق نوره على الأرض كلها، وهو ما ورد في دعاء العهد (اللهمَّ اكشِف هذِهِ الغُمَّةَ عَن هذِهِ الأُمَّةِ بِحُضورِهِ وَعَجِّل لَنا ظُهورَهُ إِنَّهُم يَرَونَهُ بَعيداً وَنَراهُ قَريباً) وورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (إن الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة)(١٣)

أقول: ولا زالت الأمة تُربّى بالأمل بعد ألف ومئتي عام.

فإن الفتح يشرق من داخل النفس ثم يتحقق في الخارج ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وما زال الأمل يحدونا بقرب الفرج والنصر، وظهور دين الإسلام المحمدي الأصيل على الدين كله ولو كره الكافرون والمستكبرون جعلنا الله تعالى وإياكم من أنصاره والممهدين له والممكّنين في دولته المباركإنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١٠) الاحتجاج للطبرسي: ١ /١٣٤. (١١) الاحتجاج: ١ /١٣٩. (١٢) صحيح البخاري: ٦٧/ كتاب ٩ مواقيت الصلاة، باب ٧ ح ٥٢٩، ٦٣٠. (١٣) بحار الأنوار: - ج ٥٢ - ص ١٠٢.

يمكنكم الاطلاع على آخر اخبار المرجعية وبدايات الاشهر العربية من خلال الموقع الالكتروني الرسمي (yaqoobi.com) وق
وتطبيق (ضوء الامل) للهواتف النقالة كما يمكنكم مراسلة مكتب المرجعية على البريد الالكتروني الرسمي (com
العنوان : النجف الاشرف - نهاية شارع الرسول - مؤسسة الامام الباقر (ع) خلف مكتبة الامام ال

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي